

٣ - أسوة حسنة في الأخلاق والدعوة إلى الله تعالى:

بإرادة الله تعالى توحدت جزيرة العرب تحت إمرة المصطفى ﷺ، ربما لأول مرة في التاريخ، وبإرادة الله تعالى تحول أهلها من الشرك إلى التوحيد، قبل أن يلحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى. والمعروف أن جزيرة العرب تشكل وحدها زهاء سدس مساحة العالم الإسلامي^(١) وقد نعت الله تعالى رسوله في محكم كتابه بالخلق العظيم وذلك في قوله عز من قائل^(٢): ﴿وَإِنَّكَ لَعَلِي خَلْقٌ عَظِيمٌ﴾ وحينما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ قالت: كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه^(٣) وقال عليه الصلاة والسلام: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق^(٤) وكان للمؤمنين أسوة حسنة في المصطفى ﷺ وقد قال تعالى^(٥): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ وقد استمسك السلف الصالح بوصية المصطفى ﷺ بقوله مخاطباً المؤمنين في حجة الوداع: «وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه»^(٦) ﷺ.

إن هذه الأخلاق الإسلامية العظيمة تحلّى بها كل من المجاهدين الفاتحين والدعاة المبلغين. وقد عرفنا أن زهاء ثلثي العالم الإسلامي لم يصلها جندي مجاهد واحد، إنا الذي وصلها الدعوة إلى الله تعالى الذين طبقوا في دعوتهم أمره جلّ وعلا لهم في القول في سورة النحل^(٧):

(٢) سورة القلم آية ٤ .
(٤) نور اليقين ٣٠٩ .
(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٢٥١ / ٤ .

(١) الإسلام الفاتح ٣ .
(٣) نور اليقين ٣٠٩ .
(٥) سورة الأحزاب ٢١ .
(٧) الآية ١٢٥ .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾
وإن المجاهدين في سبيل الله تعالى ، رهبان الليل وفرسان النار، وإنّ الدعاة إلى الله تعالى المخلصين الربّانيين ، كانوا جميعاً يتمثلون معنى قوله تعالى خطاباً للمؤمنين في سورة النور^(١) : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

وإليك بعض الشهادات في المجاهدين والدعاة من بعض العظماء من مفكري الإسلام . يقول الإمام الشهيد حسن البنا^(٢) : « والتاريخ يحدثنا عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم فتحوا البلاد بأخلاقهم وحسن معاملتهم قبل ان يفتحوها بسيفوفهم وعدّتهم وعددهم . فلا يتصور أنّ عدداً قليلاً من هؤلاء العرب يثّل عرش كسرى ويدكّ ملك قيصر ويرث هذه الإمبراطوريات الضخمة في هذا العدد من السنين بمجرد القوة . ولا يعقل أن ثمانية آلاف جندي يفتحون إقليماً شاسعاً كمصر وينشرون فيها دينهم ولغتهم وآدابهم وثقافتهم وعقيدتهم بالإكراه والجبروت ، ولكن بحسن الأخذوثة وجميل العمل » ويقول أبو الأعلى المودودي^(٣) : « ومن النماذج الرائعة في السمو الخلقى الذي عرضته الجنود الإسلامية

(١) الآية ٥٥ .

(٢) السلام في الإسلام ٧٤ ، والمعروف أن اللغة القبطية لم تتلاش تماماً إلا في القرن السادس الهجري ، العربية يوهان فك ٢٢ .

(٣) الإسلام اليوم ١٧ .

على الدنيا أنها كانت تدخل مدينة تفتحها، وتجوب في شوارعها، ونساء هذه المدينة واقفات في الشرفات في أبي ثياب التبرج والإغراء يتطلعن إلى المواكب، ولم يحاول جنديٌّ من هؤلاء الجنود البواسل أن يرفع رأسه وينظر إليهن ولو بنظرة عابرة. تقطع المواكب الشوارع بدون أن تعلم ما إذا كان هناك من النساء يطلعن عليها من الشرفات الأمر الذي كان يختلف تماماً عما جربته تلك الأمم المغلوبة من ويلات الغزاة فيما خلت من القرون، وماتناقله الناس من القصص والحكايات عن الأمم الغازية. إذ كان من السنة المتبعة أنه كلما وطىء الغزاة أرض قوم عاثوا فيها فساداً، ولم يتركوا عرض امرأةٍ منهم إلا وانتهكوا وارتكبوا معها الفظائع. فبعد هذه المواقف الفذة مع أهالي البلاد المفتوحة كيف كان من الممكن ألا تكسب الجيوش الإسلامية قلوبها، الجيوش التي تكتسح المناطق بدون أن تنتهك حرمة أو تمس بكرامة أحد» ويقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة^(١): «ومن الحقيقة التي لا يكابر فيها أحد أن الذي حققته أخلاقهم السامية وسلوكهم النزيه من المعجزات لا يقارن بما أنجزته سيوفهم... ولهذا السبب نفسه نرى أن الأقطار التي فتحوها لم يكتف سكانها بالخضوع لقوتهم السياسية بل أصبحوا من المولعين بهم والمريدين لهم: اعتنقوا دينهم، واتبعوا حضارتهم، وارتضوا لغتهم. وها هي الأقطار التي فتحها المسلمون الأوائل مازال سكانها يعتبرونهم، على مدار التاريخ، أبطالهم وروادهم، ولا يجبون أن يرجعوا بأواصرهم إلى أسلافهم الكافرين أو ينسبوا إليهم ماضيهم، فهل لسيفٍ أن يحقق هذه المعجزة في العالم؟».

(١) الإسلام اليوم ١٩ .

ويحضرني شخصياً واحداً من الأدلة الكثيرة على عمق الود لأولئك الفاتحين وعظيم الامتنان لهم . كنت في صيف سنة ١٣٨٣ هـ في باكستان في كراتشي ، وقد التقيت بكثيرٍ من الإخوة في الإسلام الذين لا أستطيع أن أقدر عظيم حبهم لنا نحن العرب ، لدرجة أن سكان القرى إذا علموا بأن شخصاً من بلاد الحرمين زار قريتهم لا يسمحون له بالمغادرة بحالٍ من الأحوال قبل ان يستضيفوه ثلاثة أيام بلياليها . وفي أحد الأيام أخذنا فريقاً من هؤلاء الأحاب إلى مكانٍ خارج مدينة كراتشي يوجد به معلم تاريخي سامق البنيان وأخبرونا بكل فخرٍ واعتزاز بأن هذا المعلم التاريخي يشير إلى المكان الذي وطئته أولاً أقدم القائد العربي المسلم محمد بن القاسم الثقفي وصحبه الكرام من المجاهدين في سبيل الله تعالى الأبطال . لقد ولد محمد بن القاسم سنة ٢٦ هـ - ٦٨١ م وتوفي نحو سنة ٩٨ هـ ٧١٧ م بمعنى أنه عاش ستاً وثلاثين سنة فقط ، وهو الذي عناه حمزة بن بيض الحنفي بقوله :

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة (١)

إن الذكر العاطر لهذا القائد المظفر والمجاهد الأجد يأتي بعد زهاء ألف وثلاثمائة سنة من وفاته رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً وسيستمر بإذن الله تعالى إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وعن هؤلاء الدعاة الذين عُنوا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق يقول العلامة أبو الحسن الندوي (٢) : «فانتشر بهم الدين الحنيف في أنحاء العالم البعيدة ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً . وكان لهم فضلٌ في انتشار

(٢) النبي الخاتم ٦١ .

(١) الأعلام ٦ / ٣٣٣ .

الإسلام في شبه القارة الهندية، وخاصة في المناطق التي لم يغزها جيش إسلامي ككشمير وبنغال الشرقية وفي جزر المحيط الهندي وقارة أفريقيا» ويقول^(١): «إن كلمات العدل والمساواة والإنسانية منتشرة ذائعة اليوم في كل ناحية من نواحي الهند، وبارزة على كل صفحة من صفحات أدبائها وكتابها، وخفيفة على لسان كل خطيب ومتكلم. ومن ذا يكابر في أن الإسلام هو الذي عزّف هذه الكلمات إلى أهل هذه البلاد وسعى في رواجها وذيوعها في بلاد لم تكن تعرف هذه الكلمات ومعانيها».

ويقول العلامة الدكتور حسين مؤنس^(٢): «وفي بلاد المغرب أسلمت قبائل البربر مبهوراً بما رأت من روعة إيمان عقبة بن نافع وأصحابه، فهذا الرجل الفريد في بابه، الذي وهب نفسه للإسلام، كان يلقي رئيس القبيلة ويحدثه ثم يدعوه إلى الإسلام فيسارع إلى الإيمان ليكون من قوم عقبة، ثم يتبعه بعد ذلك قومه» وبشأن انتشار الإسلام في أفريقيا يقول^(٣): «اخترق الإسلام مائتي كيلومتر من الغابات الاستوائية التي لا يخترقها أحدٌ إلا بمشقة» ويقول عن الكلمة الطيبة: إنها هي^(٤) «التي فتحت مغاليت القلوب ونقلت إلى الإسلام أقواماً كان الغرب يقول إلى حين قريب إنهم ليسوا من البشر» وبعد إشادته بأدوار بعض الشعوب الأفريقية في المحافظة على الإسلام ونشره يقول^(٥): «فهذه أربعة شعوب مباركة دخلت الإسلام سلباً دون حرب، وأقامت دولاً وحضارات وحافظت على الدين في بلادها ونشرته في فجاج أفريقيّة المدارية والاستوائية» ويقول^(٦): «ففي الأندلس كان أهل البلاد يجدون في العربي

(٢) الإسلام الفاتح ١٦ .
(٤) الإسلام الفاتح ٨٤ .
(٦) الإسلام الفاتح ١٨٨ .

(١) إلى الإسلام من جديد ٢٩ .
(٣) الإسلام الفاتح ١٧ .
(٥) الإسلام الفاتح ١٦٥ .

عشيراً حسناً وصديقاً ودوداً» ويقول^(١) : «ولا حاجة بنا إلى الكلام على ما كان من تقارب وتآخ بين العرب الأوّل وأهل البلاد حتى إن رجال القبائل كانوا يتنافسون على العرب . فتجهد كل قبيلة في أن ينزل بها عربي ، فيبدأ معلماً لأفرادها ويتهيئ رئيساً لها ، ويتزوج منها ويسرع بإسلامها ، وخاصة إذا كان آل البيت العربي من آل إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأخيه سليمان» وبشأن نشاط مصر بلد الأزهر الشريف في نشر الإسلام في السودان يقول^(٢) : «خلال تلك الفترة الطويلة عمل المصريون على نشر الإسلام وإرسال الشيوخ وإنشاء المعاهد الدينية والمدارس في كل بلاد السودان مما ربط شعوب السودان النيلية بعضها ببعض وجعلها شعباً سودانياً واحداً لغته العربية وديانته الإسلام . وهذا أعظم كسب حققه الإسلام والعروبة في إفريقيّة منذ قرون طويلة . فقد أصبح أكبر أقطار القارة الإفريقية وهو السودان بلداً إسلامياً يتّصل بعددٍ كبير جداً من البلاد الإفريقية ويفتح أبوابها للإسلام» .

وإذا كان السودان أكبر بلد إسلامي من حيث المساحة في إفريقيّة ، فإنه ينبغي علينا ، وقد عملنا هذه الدراسة من أجل الندوة العالمية للقرآن الكريم التي تعقد في كوالالمبور عاصمة ماليزيا ، ينبغي علينا أن نشير إلى أكبر البلاد الإسلامية على الإطلاق ، ألا وهو أندونيسيا البلد المجاور ، إن أندونيسيا : «أكبر بلد إسلامي على الأرض وأعمرها بالمسلمين»^(٣) وأندونيسيا من البلاد التي فتحها دين الإسلام بذاته عن

(١) الإسلام الفاتح ١٨٩ .

(٢) الإسلام الفاتح ٢١١ .

(٣) الإسلام الفاتح ٥٣ .

طريق الدعوة المخلصين ، شأنها في ذلك شأن كل البلاد المجاورة . وفي العام المنصرم حينما كنت في زيارة لأندونيسيا وزرت فيها العديد من كبار الجزر سمعت الكثير عن تضحيات الدعوة إلى الإسلام من أبناء أولئك الدعوة وأحفادهم ، ومن هؤلاء الدعوة من كان يجوب البلاد بواسطة دراجته الهوائية بائعاً داعياً . إن الأرض حينما تسهل وتلين يركب الداعية دراجته . وحينما تصعب وتقسو بسبب حاجزٍ مائي أو جبلي يحملها الداعية على ظهره . وهكذا دواليك . ومن أطف ما قاله لي هذا الابن (١) عن أبيه الداعية إلى الله تعالى : إن أباه حذق بعض الألعاب التي تجذب الصغار والكبار على حد سواء ، وكان قد اقتبسها من بعض الجاليات الموجودة هنالك . فقرر تسخير مواهبه من بين وسائله في الدعوة إلى الله تعالى . وكي يستميل المشاهدين للدخول في الإسلام أعلن أن على من يريد أن يشاهد هذه الألعاب الممتعة أن يدفع قيمة التذكرة . وليست تلك القيمة مالاً أو عرضاً من أعراض الدنيا . إن قيمة التذكرة كلمة واحدة هي كلمة التوحيد ، شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ! رحم الله تعالى الداعية الشيخ عبدالله باسلامه رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته وهو وسائر الدعوة والمخلصين في خدمة هذا الدين الحنيف وتشره في الخافقين . آمين .

ومادما نتحدث عن الدعوة إلى الله تعالى وأعمالهم الصادقة في صمت لنشر الإسلام وعن هذا السلف الصالح الأسوة الحسنة لنا فإننا نود أن نشير إلى نتيجة حاسمةٍ للدعوة إلى الله تعالى في القرن الرابع الهجري الذي تقاعس فيه المسلمون عن الجهاد في سبيل الله تعالى فعاثت الدولة البيزنطية

(١) هو الدكتور عبدالرحمن عبدالله باسلامة مدير جامعة المسلمين الأندونيسية يوجنق بانندنق .

دولة الروم منذ منتصف القرن الرابع الهجري فساداً في ديار الإسلام وجاست خلال الديار واستولت على جميع الثغور الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة وأرمينية^(١) أما هذه النتيجة الحاسمة فإنها من معاني قول الحق جلّ وعلا^(٢): ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ فقد ذكر المؤرخون في حوادث سنة ٣٤٩هـ ما نصّه: وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه. والخركاه معناها الخيمة. وكانت كل خيمة تضم أسرة واحدة على الأقل، أي نحو مليون نسمة. وهذا يعني أن سنة ٣٤٩هـ سنة فاصلة في اعتناق الأمة التركية للإسلام^(٣) ولا تسل عن دحر هؤلاء المسلمين جحافل الصليبيين، فقد تكسرت في ديارهم الكثير من هذه الموجات الصليبية، وما أعظم الأعمال البطولية التي قام بها المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند بطل الانتصارات الأولى على الصليبيين الذي قهر بطل الحملة الصليبية الأولى بوهمند النورماني وأخذه أسيراً ذليلاً حقيراً إلى عاصمته^(٤) وقضى على ثلاث حملات صليبية كبرى^(٥) سنة ٤٩٤هـ / ١١٠١م^(٦) وأصبح اسمه كفيلاً بإثارة الرعب في نفوس سائر الصليبيين بسبب ما أحرزه عليهم من انتصارات ضخمة^(٧).

ومادمننا وصلنا إلى القرن الرابع الهجري وجهود الدعاة إلى الله تعالى التي آتت أكلها في هيئة اعتناق شعوبٍ بكاملها عقيدة التوحيد دون أن نعرف شيئاً عن أولئك الدعاة الذين عملوا في صمتٍ وآثروا الآجلة على العاجلة فإننا لانستطيع أن نُغفلَ عملاً رائعاً لهؤلاء الدعاة في صمت

-
- (١) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند د. علي محمد عودة الغامدي ٨.
(٢) سورة محمد آية ٣٨ .
(٣) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند ٩.
(٤) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند ١٠، و٦٧. (٥) المجاهد المسلم ١١، ٦٧.
(٦) المجاهد المسلم ٦٩، ويلاحظ أن سقوط القدس في يد الصليبيين سنة ٤٩٢هـ، ١٠٩٩م.
(٧) المجاهد المسلم ٧٠.

ترتب عليه اعتناق أول سلطان من سلاطين المغول في روسيا لدين الإسلام وتسمى باسم الملك السعيد بركة خان وأخذ كل المغول التابعين له باعتناق هذا الدين ، واجتهد في تعويض الإسلام عما لحق به من الأذى على أيدي أجداده ، بالقضاء على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ / ١٢١٨ م^(١) ومن الواضح أن الحديث في هذا الجانب ضروري وذلك في ظل التطورات المذهلة التي حدثت هذه الأيام في الاتحاد السوفيتي مما نجم عنه انهيار الشيوعية في لحظات يعد ان خنقت الأديان ، وبخاصة الإسلام ، سبعين سنة . وأبادر إلى تسجيل مظهر من المظاهر المبهجة للصحوة الإسلامية في تلك الديار الإسلامية وهذا المظهر المبهج نعيشه هذه الأيام في مكة المكرمة التي تقيم فيها وزارة الحج والأوقاف بالملكة العربية السعودية الاحتفال الدولي الرابع عشر لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره والذي اشترك فيه لأول مرة شباب من تلك البلاد بعد ان دمر الله تعالى تدميراً الحصار الشيوعي والكابوس عدو الدين اللدود الذي استمر جاثماً سبعين سنة ، والله الحمد والمنة . واللطيف أن من هذا الشباب من اشترك في أرفع فروع المسابقة ، في حفظ القرآن الكريم كاملاً وفي التفسير .

وهذا يقتضينا أن نسجل بإيجاز أهم خطوات انتشار الإسلام في تلك الأصقاع كي نكون على بيّنة نحن المسلمين من جهاد السلف الصالح باللسان وباللسان .
انتشر الإسلام لأول مرة في أذربيجان وداغستان . وكان ذلك في أوائل القرن السابع الميلادي أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢) ثاني الخلفاء الراشدين وعمر رضي الله عنه ولد سنة ٤٠ هـ قبل الهجرة الموافق ٥٨٤ م وتوفي سنة ٢٣ هـجريا الموافق ٦٤٤ م^(٣) .

(١) الإسلام الفاتح ٧٦ . (٢) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية المفتي ضياء الدين خان ١١ .
(٣) الأعلام للزركلي ٤٥ / ٥ .

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي ولد سنة ٢٠ قبل الهجرة الموافق سنة ٦٠٣ م وتوفي سنة ٦٠ هـ الموافق سنة ٦٨٠ م (١) وبقيادة سعيد بن عثمان رضي الله عنه ابن عفان المتوفي بالمدينة نحو سنة ٦٢ هـ الموافق ٦٨٢ م (٢) وصل الإسلام إلى آسيا الوسطى التي كانت تسمى آنذاك ببلاد ماوراء النهر. وكانت هذه البلاد تشمل مدن سمرقند وبخارى (بلد الإمام البخاري) وشاش وترمد ونسف وكش وخوارزم ومرو وخجند وبالاصاغون وأوزكند ونساء وغيرها (٣) وقد أرسل خلفاء بني أمية إلى هذه الديار من يقوم بنشر العقيدة الإسلامية وتدریس القرآن واللغة العربية (٤).

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي ولد سنة ٢٦ هـ الموافق ٦٤٦ م والمتوفي سنة ٨٦ هـ الموافق ٧٠٥ م (٥) تم إرسال قتيبة بن مسلم المولود سنة ٤٩ هـ الموافق ٦٦٩ م والمتوفي سنة ٩٦ هـ الموافق ٧١٥ م (٦) إلى آسيا الوسطى ووصل إلى الصين ثم عاد (٧) وتوفي قتيبة في مدينة مارغيلان التي أنجبت كثيراً من العلماء البارزين في العالم الإسلامي (٨).

وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله وهو جعفر بن أحمد بن طلحة أبو الفضل المولود سنة ٢٨٢ هـ الموافق ٨٩٥ م والمتوفي سنة ٣٢٠ هـ الموافق ٩٣٢ م (٩) أرسل ملك البولقار صلطيغار ابن شيلكي بعثته إلى الخليفة العباسي يرجوه أن يرسل إليه من يلقنه الدين الإسلامي ويعلمه قوانين الإسلام. ووعده الملك بأن ذلك لو تم فإن الملك سيأتي للقادم

-
- (١) الأعلام ٧ / ٢٦١ .
(٢) الأعلام ٣ / ٩٨ .
(٣) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٢ .
(٤) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٢ .
(٥) الأعلام ٤ / ١٦٥ .
(٦) الأعلام ٥ / ١٨٩ .
(٧) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٢ .
(٨) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٢ .
(٩) الأعلام ٢ / ١٢١ .

مسجداً ويقيم له المحراب لكي يلقي خطبة الخليفة في بلده وكافة أصقاع دولته^(١) وفي عام ٣٠٩ هـ الموافق ٩٢١ م قدمت بعثة الخليفة إلى بلاد البولقار وكان على رأسها سوسان الراسبي ، وذلك بعد ان قطعت مسافات طويلة واستقبلت بحفاوة بالغة على امتداد مسيرة يوم وليلة من قصر الملك^(٢) .

وفي يوم الخميس في شهر أيار (مايو) عام ٩٢٢ م جرت مراسم اعتناق الإسلام في أكبر حشد جماهيري . وأقيمت في اليوم التالي أولى الشعائر الدينية ، وأعلن الإمام عن قرار ملك البولقار بتغيير اسمه باسم إسلامي جديد ، حيث سمي نفسه بجعفر بن عبدالله^(٣) وابتداءً من اليوم السادس عشر من شهر محرم عام ٣١٠ هجرية المصادف ٩٢٢ م ساعد اعتناق جعفر وجماعته الدين الإسلامي على انتشار الإسلام وتقويته بين البولقار . ولم يمض ٥٠ - ٦٠ عاماً على ذلك التاريخ حتى اعتنق جميع البولقار الإسلام ، وظهر آنذاك بتأثيرهم الإسلام بين الشعوب المجاورة ، عند التشوفاشيين والماريين والبشكير . وفي ذلك القرن بالذات انتقلت مجموعة من الشعوب المجاورة إلى الإسلام أيضاً^(٤) .

وهكذا نكون أمام عجيبة من عجائب هذا الدين بفضل الله تعالى الذي رضي لعباده دين الإسلام الذي بعث به محمداً ﷺ ثم بفضل إخلاص الدعاة إلى الله تعالى حينما نتبين ان المسلمين ينهزمون عسكرياً وينتصر الإسلام . كلنا على علم كيف قهر التتر - ذلك الجراد المنتشر - العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وخضدوا شوكة المسلمين ، فلم

(١) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٥ .

(٢) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٦ ، والإسلام الفاتح ٧٧ .

(٣) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٦ .

(٤) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٦ .

تقم لهم قائمة ، ولم يقف في وجههم واقف ، وكاد المسلمون يصبحون أثراً بعد عين ، واستولى اليأس على قلوبهم حتى كان من الأمثال السائرة : إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق^(١) وقضوا على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ - ١٢١٨ م^(٢) هنالك فعلت الدعوة الإسلامية فعلها ، ونفذت فيهم . فإذا القاهر يصبح مقهوراً ، وإذا الفاتح مفتوح لدين المفتوحين ، وإذا التتر يتلفظون بكلمة الإسلام ، ويدينون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويصبحون أمة إسلامية^(٣) وكان ذلك بعد مرور أقل من خمسين سنة على مجيئهم إلى بلاد ماوراء النهر^(٤) وأول من هداه الله منهم بركات خان (١٢٥٧-١٢٦٦) صاحب القلعة الذهبية^(٥) وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي^(٦) وقد تسمى باسم الملك السعيد بركة خان وأخذ كل المغول التابعين له باعتناق هذا الدين ، واجتهد في تعويض الإسلام عما لحق به من الأذى على أيدي أجداده فاهتم بإنشاء المساجد واستقدام الفقهاء والإحسان إليهم وتيسير مهمتهم في نشر الدين^(٧) .

(١) إلى الإسلام من جديد لأبي الحسن الندوي ١٨ .

(٢) الإسلام الفاتح ٧٦ .

(٣) إلى الإسلام من جديد ١٨ .

(٤) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٨ .

(٥) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٨ ، والإسلام الفاتح ٧٦ .

(٦) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٨ .

(٧) الإسلام الفاتح ٧٦ .

٤- أسوة حسنة في مجال العلم :

ليس ثمة دينٌ حث على العلم كما فعل الإسلام . إن أول ما نزل على المصطفى ﷺ من القرآن الكريم ذو علاقةٍ بالقراءة والعلم والقلم . قال تعالى (١) : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . وإن أول قسمٍ في القرآن الكريم بالقلم . قال تعالى (٢) : ﴿ ن . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . وإن لفظة « العلم » والمشتقات من الأصل اللغوي : « علم » تجيء في القرآن الكريم أكثر من ثمانمائة مرة (٣) وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي حثت على العلم وورفعت من شأنه وشأن العلماء . قال تعالى (٤) : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . وقال تعالى (٥) ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ . وقال تعالى (٦) ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . وقال النبي ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » (٧) وقال النبي ﷺ « لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » (٨) .

(١) سورة العلق ١-٥ ، وانظر : الإسلام والمستقبل د . عبدالعزيز كامل ٣٩ ، و٤٣ .

(٢) سورة القلم ١ .

(٣) انظر في : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أعداد هذه الألفاظ .

(٤) سورة الزمر ٩ .

(٥) سورة المجادلة ١١ .

(٦) سورة فاطر ٢٨ .

(٧) صحيح البخاري ١ / ٢٧ .

(٨) صحيح البخاري ١ / ٢٨ .

وفي الإمكان أن ننظر إلى المد الإسلامي من ثلاث جهات أو ثلاث موجات، منها ما حصل له الوقوف والانتها، ومنها ما حصل له الانحسار، ومنها ما حصل له الاستمرار والاتساع .

أمّا ما حصل له الوقوف والانتها فالمد العسكري . وهذه نتيجة حتمية لكل جيش زاحف، وقد عرفنا أنّ المد العسكري الإسلامي ليس له نظير في السرعة وفي عمق الأثر لأنّ المجاهدين المسلمين رهبان الليل فرسان النهار .

وأما ما حصل له الانحسار فاللغة العربية منطوقة أولاً مكتوبة أخيراً .
وأما ما حصل له الاستمرار والاتساع فالمد الإسلامي ذاته، وقد عرفنا أنّ الإسلام وهو الدين الطيار قد فتح بنفسه بواسطة الدعاة إلى الله تعالى أضعاف ما فتحت الجيوش الإسلامية، وقد اقترن بالمد الإسلامي المدّ الفقهي .

وإن هذا القول الموجز بحاجة إلى شيء من بسط القول :
بنا أن الفتح الإسلامي فتح حضاري في الحقيقة وليس فتحاً عسكرياً . والدليل على أنّ الجيوش الإسلامية قاتلت الحكومات المنحرفة عن سواء السبيل أنها لم تجد مقاومة من الجماهير مطلقاً^(١) بدليل أن المسلمين فتحوا إسبانيا والبرتغال في أقل من عامين اثنين^(٢) وها هو ذا الوطني الإسباني الغيور والكاتب المشهور المعاصر بلاسكوا أبانيز، مشيداً في حماس بمسجد المسلمين في الأندلس يقول في أهمّ مصنّفاتة وهي «ظلال الكنيسة» : «لقد أحسنت إسبانيا استقبال أولئك الرجال الذين

(١) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٥ .

(٢) أثر العرب في الحضارة الأوربية ١١٦ .

قدموا إليها من القارة الافريقية ، وأسلمتهم القرى أزمتهما بغير مقاومة ولا عداء . فما هو إلا أن تقترب كوكبة من فرسان العرب من إحدى القرى حتى تفتح لها الأبواب وتتلقاها بالترحاب . وكانت غزوة تمدين ولم تكن غزوة فتح وتدويخ»^(١) وبشأن الانسجام والتآلف بين الأجناس والأديان لا يجد لنهضة الأندلس آنذاك شبيهاً إلا في الولايات المتحدة اليوم يقول^(٢) : «كان سكان إسبانيا يزدادون فيزيدون على ثلاثين مليوناً تنسجم بينهم جميع العناصر البشرية والعقائد الدينية . وخفق قلب الحياة الاجتماعية بأقوى نبضاته التي عرفها تاريخ الجماعات البشرية ، فلا نرى لها قريناً نقابله به غير مانجده في الولايات المتحدة الأمريكية من تنوع الأجناس واتصال الحركة والنشاط» .

وإنما اخترنا الأندلس بالذات للحدث عنها لأنها أهم المناطق النائية التي خسرها المسلمون بفعل التعصب الأعمى المقيت والتي خسرها أيضاً أولئك الذين طردوا الإسلام والمسلمين منها وقد قال أبو الحسن الندوي^(٣) : «وهل إسبانيا الحاضرة إلا مدينة بلا روح ، وحياة بلا مبدأ ، وأمة بغير رسالة للعالم!» . وتقول هونكة : «والحقيقة أنه بخروج المسلمين من الأندلس عام ١٤٩٢م انتهى عهد الساحة إلى الأبد»^(٤) .

واللطف أن المؤلف الإسباني يشبه الأندلس المسلمة المتساحة بالولايات المتحدة الأمريكية اليوم . لقد كانت كلمة الإسلام والمسلمين

(١) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ١١٦ .

(٢) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ١١٧ .

(٣) إلى الإسلام من جديد ٢٢ .

(٤) مجلة المنهل العدد ٤٩٤ ص ١٣٥ .

أذاك هي العليا .

لقد كان المجاهدون المسلمون رهبان الليل حقاً وقد كانوا صورةً صادقةً لتعاليم الإسلام كما بينها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ والسلف الصالح وكانت أسوتهم الحسنة متمثلة في شخص المصطفى ﷺ الذي قال الله تعالى عنه في محكم كتابه (١) ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنةً لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ ومن هنا كانت الجيوش الإسلامية ذات صبغتين اثنتين عسكريّة وثقافيّة . ومعروف أن الصبغة الثقافيّة أطول عمراً، وأعمق أثراً . وكان القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ المحور الذي تدور حوله الصبغة الثقافيّة . ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين وكانت العربية لغة الحديث النبوي الشريف فقد شاء الله تعالى ألاّ يبعث رسولاً إلا بلسان قومه كما قال تعالى (٢) : ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبيّن لهم فيضلاً من الله من يشاء ويهدي من يشاء . وهو العزيز الحكيم﴾ لذا فقد كانت اللغة العربيّة هي لغة هذه الصبغة الثقافيّة . بقي علينا أن نعرف أن المجاهدين المسلمين لم يخطر ببالهم أن يدرّسوا إلا باللغة العربيّة . وقد ساعد التدريس باللغة العربيّة على تعريب الأمصار من ناحية ، وعلى قيام اللغة العربيّة لأوّل مرّة في التاريخ ، وربّما في تأريخ اللغات ، بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير من ناحية أخرى .

ويلزمنا أن نقرّر أن المجاهدين المسلمين لم يلجأوا لحظة من اللحظات في سبيل هذه الغاية إلى أي شيء من أساليب الترغيب أو الترهيب التي يلجأ إليها عادة الغزاة الفاتحون .

(١) سورة الأحزاب ٢١ .

(٢) سورة إبراهيم ٤ .

بل إن هذه الشعوب الكريمة التي انتهى إليها الإنقاذ الإسلامي رضيت سعيدةً قريرة العين أن تتخلى عن معتقداتها السابقة وحضاراتها وثقافتها ولغاتها وأن تعتنق دين الإسلام وتحتضن لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف منطوقة ومكتوبة، وأن تسهم في بناء الحضارة الإسلامية المجيدة. إن هذه الشعوب الكريمة النبيلة التي فعلت ذلك حباً في الإسلام وأهله هي ذات الشعوب التي رفضت ياباء وشمم زهاء ألف عام قبل الإسلام أن تذوب في الفاتحين من فرس ويونان ورومان. ولماذا نجح المسلمون وفشل غيرهم؟ لأن كل مسلم مجاهد ينظر إلى أخيه الإنسان في ضوء مثل قوله تعالى (١): ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منها رجالاً ونساءً. واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. إن الله كان عليكم رقيباً﴾.

إن الإنسان أخو الإنسان من جهتين من جهة الرب الواحد، ومن جهة الأب الواحد والأم الواحدة كذلك. إن أبانا آدم عليه السلام، وإنّا حواء عليها السلام التي خلقها الله تعالى من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، من شقه الأيسر كما روي عن ابن عباس (٢). ومن الطبيعي أن يعطف الأخ على أخيه وأن يحرص على أعظم خير أن يصله بالدخول في دين الإسلام، ومن هنا كان كل جنديّ مسلم داعياً إلى الله تعالى من أجل أن يتحقق معنى قوله تعالى (٣): ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ومعنى قوله تعالى (٤): ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ومعنى قوله تعالى (٥): ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾.

(١) سورة النساء ١ . (٢) تفسير الطبري ٤/ ١٥٠ . (٣) سورة الحجرات ١٠ . (٤) سورة التوبة ٢٣، والصف ٩ . (٥) سورة الفتح ٢٨ .

وقد عرفنا أن المسلمين إنما حققوا هذا النجاح بسبب أخلاق الإسلام العظيمة التي تحلّى بها المجاهدون في سبيل الله تعالى . ولا يكاد ينتهي العجب حينما نتبين أن هذه الأخلاق العظيمة للمجاهدين المسلمين تجعل من أبناء البلاد المفتوحة جنوداً للفتح الإسلامي بل قواداً من أعظم القواد الذين عرفتهم الإنسانية . ومن يجهل القائد المسلم المظفر طارق بن زياد فاتح الأندلس الذي كان من البربر المسلمين (١) والذي يردّد العالم كله اسمه مقروناً بالجبل العظيم في جنوب الأندلس «جبل طارق» والمطلّ على المضيق المسمى باسم : «مضيق جبل طارق» الذي يفصل بين المغرب والأندلس .

وإذا كانت أخلاق المسلمين الفاتحين قد جعلت من أبناء البلاد المفتوحة جنوداً يقاتلون في سبيل نشر كلمة التوحيد وقواداً يبذلون أرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى امثالاً لقوله تعالى (٢) : «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم» فمن باب الأحرى والأولى ألا يبخل أبناء البلاد المفتوحة على الإسلام الذي اعتنقوه وعلى المسلمين الفاتحين بأسرارهم العلمية والعسكرية .

إن المسلمين الفاتحين ذوي الأخلاق العظيمة والنفوس الكبيرة ملكوا قلوب أصحاب البلاد المفتوحة الذين بادروا بدوافع من ذوات

(١) العسكرية العربية الإسلامية ٦٦ .

(٢) سورة التوبة آية ١١١ .

أنفسهم إلى الكشف عن أسرارهم العلمية والعسكرية لإخوانهم في العقيدة الفاتحين ، وشمروا عن ساعد الجد في سبيل بناء صرح الحضارة الإسلامية المجيدة التي حلقت بجناحين من الروح واللسان . أمّا الروح فإنها روح الإسلام كما يبينها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ . وأمّا اللسان فإنه العربي المبين الذي نزل به القرآن الكريم وبيّن به النبي الكريم أي الذكر الحكيم . ومن أعجب ما يصادفنا في هذا المجال الأخبار المتواترة من أنّ عناية غير العرب في بعض البيئات باللغة العربية تفوق عناية العرب بلغتهم . وها هو ذا المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم يذهب إلى أن أصحّ العربية يُتكلّم بها في المشرق ، أي في الإقليم اللغوي الفارسي ، لأنهم يتكلّفونها تكلفاً ، ويتعلمونها تلقّفاً^(١) .

وينبغي أن نشير إلى صفةٍ من أهمّ الصفات التي جسّدها المسلمون الفاتحون في تحويلهم الأخلاق الإسلامية النظرية إلى عمل وواقع وهي أن من أهم ما هتموا به بعد الحرص على القضاء على رذائل البلاد المفتوحة أن يعملوا جاهدين على تفجير طاقات أبنائها وعبقرياتهم . وقد كانت هذه الصفة المترجمة والأخوة الإيمانية والأخوة الإسلامية كما بينها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ من أهم الأسباب التي جعلت الحضارة الإسلامية تقفز درجات سلمها الرفيع قفزاً وتصل إلى قمته الرفيعة السّنا والسّناء خلال ثمانين سنة فقط^(٢) بينما احتاجت الحضارة الرومانية ألف سنة كي تصل إلى قمته المحدودة الارتفاع بالقياس إلى قمة الحضارة الإسلامية^(٣) هذا إلى أنّ الحضارة الإسلامية لم

(١) العربية ، يوهان فك ١٩٢ ، وانظر : ١٦٩ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ٣٦ .

(٣) الإسلام على مفترق الطرق ٣٦ .

تختلف من الوجود حتى يوم الناس هذا وإن كانت قد تدرجت عن قمته التي تسنمتها عدة قرون^(١) بينما انهارت الحضارة الرومانية خلال مائة سنة فقط^(٢) وكما كانت الأخوة الإسلامية سبباً في وصول الحضارة الإسلامية قمته في سرعة البرق كانت سبباً في قيام اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، منطوقة ومكتوبة، لأول مرة بالدور العالمي بنجاح منقطع النظر. إن الدولة الإسلامية إذا كانت قد امتدت من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً فإن اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هي لغتها، وإن الكتابة التي حملت القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هي الوعاء الذي حمل هذه الحضارة.

ثم أنت - بالتأكيد - على علم بأصح الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع الأمة . إنه صحيح الإمام البخاري ١٩٤ - ٢٥٦ هـ . ٨١٠ - ٨٧٠ م حبر الإسلام^(٣) وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، ومعناه بالعربية الزارع، وكان مجوسياً مات عليها . وابنه المغيرة أسلم على يد اليمان البخاري الجعفي والي بخاري . وإنما قيل للبخاري جعفي لأنه مولى يمان الجعفي ولاء إسلام^(٤) وقد صنف الإمام البخاري كتاب الصحيح لست عشرة سنة وخرجه من ستمائة ألف حديث^(٥) وجملة ما في صحيح البخاري من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة، ويحذف

(١) الإسلام على مفترق الطرق ٣٧ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ٣٦ .

(٣) الأعلام ٦ / ٣٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ١ / ٦٧ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٦٧ .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٧٤ .

المكررة نحو أربعة آلاف^(١) واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة (في الحديث) صحيح البخاري ومسلم، واتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحها صحيحاً وأكثرهما فوائد^(٢) وروي عنه أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب عنه فسألت بعض المعبرين فقال: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الصحيح^(٣).

ونحن في غنى عن القول إن بخارى، بضم الباء، من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها^(٤) وإنما تقع فيما كان يعرف قبل أيام خلت بالاتحاد السوفيتي.

ثم أنت - بالتأكيد كذلك - على علم بأهم كتب علم النحو في اللغة العربية على الإطلاق. إنه «الكتاب» لإمام النحاة وأول من بسط علم النحو، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه ١٤٨ - ١٨ هـ = ٧٦٥ - ٧٩٦ م^(٥) وهو فارسي الأصل^(٦) ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنّف كتابه المسمى: كتاب سيبويه، في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. وقيل: وفاته وقبره بشيراز. وكانت في لسانه حُبسة. وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح. وكان أنيقاً جميلاً. توفي شاباً^(٧) وهكذا شهد العصر العباسي الأول في نحو الفارسي: سيبويه أول وضع شامل لقواعد العربية، ولم تغيّر الأجيال المتأخرة شيئاً من أسسه وقواعده، وإن وسّعت

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٧٥ .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٧٣ .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٧٤ .

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي: «بخاري» ١ / ٣٥٣ .

(٥) الأعلام ٥ / ٨١ .

(٦) كتاب سيبويه، المقدمة ١ / ٣ .

(٧) الأعلام ٥ / ٨١ .

توسيعاً مختلف النواحي ، أو غيرت من صورته وقوالبه (١) .

وهكذا يتبين أن جامع أهم كتاب في أحاديث المصطفى ﷺ رجل من بخارى ، وأن واضع أهم كتاب في نحو اللغة العربية رجل من فارس . وهذان العَلَمَانِ رمزان لغيرهما من أعلام الإسلام الذين أسهموا مع إخوانهم العرب في بناء الحضارة الإسلامية . وإن هذا التعاون على بناء الحضارة الإسلامية من أكبر الأدلة على الأخوة الإسلامية والأخوة الإيمانية وقدرة الإسلام على تفجير طاقات جميع الكفاءات وعبقرياتها واستقبال الأمة الإسلامية بالترحاب لكل الأعمال التي تبني مجد حضارة الإسلام ، وكل ذلك تطبيق عملي لمعنى قوله عز من قائل في كتابه العزيز (٢) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ كما أن ذلك تطبيق عملي لقوله ﷺ (٣) : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ رَبِّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كَلَّكُمْ لِأَدَمَ وَأَدَمَ مِنْ تَرَابٍ . أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَيَّ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ » .

ولا يتسع المقام لإفاضة الحديث في هذه المسألة وربما اتسع لذكر شيء قليل من إسهامات الحضارة الإسلامية في رقي الإنسانية . ما أكثر الألفاظ العلمية التي اقتبستها الإنسانية من العربية وما أكثر الإنجازات العلمية التي اقتبستها الإنسانية من الحضارة الإسلامية . إن الأرقام العشرية في الحساب لم يعرفها الغرب إلا عن طريق العرب (٤) فإن المسلمين لما اقتبسوا الأرقام الهندية صقلوها وأضافوا إليها

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٤) القرآن محاولة لفهم عصري ١٣٩ .

(١) العربية ٥٠ .
(٣) نور اليقين ٢٨٢ .

الصفير والطريقة العشرية . ومن ثم عرفت هذه الأرقام عند الأوروبيين باسم الأرقام العربية . ولا يزال اسم الصفير عندهم ZERO زيرو محرّفاً عن اسمه فيها^(١) وكلمة أنبيق التي أطلقها جابر بن حيان على جهاز التقطير مازالت هي ذاتها مستعملة في الفرنسية Ambique ويشق منها الفعل Ambiquer أي يقطر^(٢) ولفظ قناة الذي انتقل إلى لغات العالم كلها عربي ، لأنهم كانوا أول من أجرى القنوات بنظام محكم ، ونقلوا إلى كل بلدٍ دخلوه نظام حفر القنوات التحتية على نظام الكظامات التي كانت معروفة عندهم في بلادهم . وكانت الكظامات تحفر في باطن الأرض لتوصيل مياه العيون بعضها ببعض حتى يمكن حفر آبار بين العين والعين لريّ الأرض . وعرفوا هذه القنوات التحتية باسم المجاري . وبفضل شبكات المجاري العربية نشأت مدن كبرى مثل مراكش ومجريط (مدريد) في الجناح الغربي لعالم الإسلام . ومرو ومرو الروذ وهراة وبلخ وما إليها في الجناح الشرقي^(٣) وقد أثبت العلامة جوستاف لوبون نسبة الإبرة (المغنطيسية) إلى العرب في كتابه عن الحضارة العربية^(٤) وهو ما تؤكد هونكة^(٥) .

والمراجع العربية تتحدث عن كروية الأرض كحقيقة مفروغ منها . يقول ابن يوسف المصري (٣٩٩هـ - ١٠٠٩م) ذكر سند بن علي في كلامٍ وجدته له أن المأمون أمره هو وخالد بن عبدالمالك أن يقيسا مقدار

(١) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٢٣ ، وانظر : طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٥ .

(٢) القرآن محاولة لفهم عصري ١٣٩ .

(٣) الإسلام القاتح ١٨٧ .

(٤) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٥٠ .

(٥) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٢ .

درجة من أعظم دائرة من دوائر سطح كرة الأرض . وطول محيط الأرض كما قاسه علماء المأمون هو ٤١٢٤٨ كيلومتراً والمعروف أن محيط الأرض هو ٤٠٠٧٠ كيلومتراً . ولذلك يقول نيلنو: قياس العرب لمحيط الأرض هو أول قياس حقيقي أجرى كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المهمة من الوقت الطويل والصعوبة والمشقة واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحين في العمل^(١) وحينما أراد روجر الثاني ملك صقلية النورماني في القرن الثاني عشر أن يستوفي معلومات عصره الجغرافية لم يجد من يعتمد عليه في ذلك غير الشريف الإدريسي الذي ولد في سبته (المغرب) ودرس في قرطبة (الأندلس) وتطاييرت شهرته في بلاد الحضارة الإسلامية والمسيحية . فوضع كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وصنع له الملك كرة فضية - تمثل كرة الأرض - زنتها أربعمئة رطل رومي ليتخذها مثلاً لما يثبته من معالم الكرة الأرضية^(٢) .

وتقول الدكتورة هونكة: «إن فضل ابن الهيثم على الفلك يتجلى في اكتشافه أن جميع الأجرام السماوية ومن بينها النجوم الثابتة ترسل نورها ما عدا القمر الذي يستمد نوره من الشمس . وهذه النتيجة التي انتهى إليها ابن الهيثم نقلته إلى فكرة أخرى جديدة أدت إلى ثورة عارمة في علم الفلك ، فقد عارض ابن الهيثم العالمين الإسكندر بن أويقليد وبطليموس فأثبت خطأ نظريتهما^(٣) وقد قال أويقليد وبطليموس إن العين ترسل أشعة بصرية على الأشياء المراد رؤيتها فأعلن ابن الهيثم خطأ

(١) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢١ ، وأثر العرب في الحضارة الأوروبية ٥٢ .

(٢) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٥٠ .

(٣) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٢ .

هذا الرأي وقال : إن العين لا ترسل شعاعاً ، فإنَّ الجسم المرئي هو الذي يرسل أشعة إلى العين ، وإن عدسة العين هي التي تحوله إلى صورة^(١) واستطاع ابن الهيثم عمل أول نظارة طبية^(٢) وتوصل ابن الهيثم تماماً إلى معرفة ارتفاع الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية وأنها خمسة عشر كيلومتراً^(٣) .

ويسخر الدكتور عبدالرحمن بدوي من تسمية مدارسنا العربية اللوغاريتيمات ترجمة للفظ اللاتيني ALGVARISMO الذي هو تحريف لاسم الخوارزمي واضع هذه الجداول!^(٤) .

وحسب العرب السنة بمقدار ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٦ دقيقة و٢٤ ثانية . والفلكيون اليوم يحسبونها بمقدار ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٨ دقيقة و٤٧ ثانية^(٥) .

ويقول الأستاذ كارل ساخاو الذي كان أستاذاً للغات السامية في جامعة فيينا عن البيروني : إنه أعظم العقول التي ظهرت في العالم^(٦) .

ويقول توينبي عن مقدمة ابن خلدون بأنها : « بلا شك أعظم مؤلف من نوعه حاول خلقه أي عقلٍ على الإطلاق في أي زمان أو مكان »^(٧) .

وكتب الأستاذ جب GIBB في مجموعة تراث الإسلام فصلاً ممتعاً عن أثر العرب في الآداب الأوروبية استشهد فيه بكلمة للأستاذ ماكيل

-
- (١) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٣ .
(٢) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٤ .
(٣) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٤ .
(٤) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٥ .
(٥) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢١ .
(٦) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٦٢ .
(٧) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٣٣ .

MAKAIL من محاضراته على الشعر قال فيها : «إن أوربة مدينة لبلاد العربية بنزعتها المجازية الحماسية ROMANCE»^(١).

وبشأن الأسوة الحسنة في مجال العلم نستطيع أن نوجز أهم معالم المد الحضاري الإسلامي في القول التالي .

إن المدّ الإسلامي القائم على شهادة التوحيد ابتداءً هو أكبر موجات الحضارة الإسلامية حجماً وأبعدها مدى ، وقد تعاون على هذا المدّ أو الموجة الجهاد باللسان وباللسان ، وقد عرفنا أن الجهاد باللسان وبالذعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة قد فتح زهاء ثلثي العالم الإسلامي للذين لم يصلها جندي مسلم واحد . وفي الإمكان إلقاء نظرة على هذا العالم الإسلامي الممتدّ من المحيط الأطلسي غرباً إلى أندونيسيا . وقد اقترن بهذا المدّ أو الموجة مذاهب الفقه الإسلامي ، فعلى سبيل المثال نجد الفقه الشافعي في أندونيسيا والفقه الحنفي في شبه القارة الهندية والفقه الحنبلي في جزيرة العرب والفقه المالكي في أقصى الشمال الأفريقي .

كما اقترن بهذا المدّ أو بهذه الموجة انتشار اللغة العربية منطوقة ومكتوبة ، فقد قامت اللغة العربية في فجر الإسلام بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير، فقد كان الشخص الذي ينطلق من شرق الدولة في الصين إلى غربها في الأندلس لا يكاد يحتاج إلى غير اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ثم إن هذه الدولة الإسلامية التي لا يمكن لأحد أن يقطعها على أسرع جمل في أقل من خمسة أشهر^(٢)

(١) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٦٥ .

(٢) العرب والإسلام ٥٦ .

قد احتضنت الكتابة العربية الإسلامية التي كتب فيها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وجعلت هذه الكتابة وعاءً لنقل نتاج عقولها .
وإذا كانت موجة المد الإسلامي المقرونة بالمذهب الفقهي لازالت حتى يوم الناس هذا تواصل بفضل الله تعالى مدّها فإن اللغة العربية المنطوقة أخذت منذ القرن الثالث الهجري^(١) تنحسر بسبب ظهور ما يسمى قديماً بالشعبوية حديثاً بالقومية ، وظهور اللغات التي تنافس اللغة العربية من حيث التأليف ومن حيث النطق بمعنى أن اللغات المحلية أخذت في الظهور ولكن في ثوب إسلامي . وقد ظلت هذه اللغات مشدودة إلى لغة القرآن الكريم برباطين اثنين ، رباط الكتابة فكل الشعوب الإسلامية آنذاك تستعمل كتابة المصحف الشريف والحديث النبوي الشريف كما أن لغة القرآن الكريم هي المعين الذي يستمد منه لغات العالم الإسلامي معجمها لتلبية حاجاتها الدينية والحضارية .

وظل هذان الرباطان يشدان العالم الإسلامي إلى لغة القرآن الكريم شداً . وقد شبه العلماء لغة القرآن الكريم بجذور الشجرة ، واللغة الفارسية بجذع الشجرة ، ولغات العالم الإسلامي ، وفي مقدمتها التركية قديماً ، الأردية حديثاً ، بأغصان الشجرة .

وقد كانت ثمرة هذا التناغم كبيرة بين عناصر الحضارة الإسلامية والانسجام بين أجزائها وإن تباعدت ، بحيث ظهر العالم الإسلامي في صورة واحدة متناغمة منسجمة رغم اختلاف الألسنة والأجناس والألوان ، لأن عقيدة التوحيد ، روح هذه الحضارة ، هي التي تصبغ

(١) انظر مثلاً : القواعد الأساسية لدراسة الفارسية د . إبراهيم أمين الشواربي ه .

هذه الحضارة بلونها . «حتى إن الباحثين في الفنون الإسلامية قد لحظوا وحدة الأسلوب والذوق في أنواعها المختلفة . فقطعة من العجاج الأندلسي ، وأخرى من النسيج المصري ، وثالثة من الخزف الشامي ، ورابعة من المعادن الإيرانية ، تبدو رغم تنوع أشكالها وزخرفتها ذات أسلوب واحد وطابع واحد»^(١) .

وليس بخافٍ على أحد حالة التمزق التي تعيشها الأمة الإسلامية بفعل أعدائها في المقام الأول . إن العالم الإسلامي إذا كان يستعمل الخط العربي الإسلامي الذي كتب فيه القرآن الكريم للمرة الثالثة والأخيرة على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين سنة خمس وعشرين هجرية^(٢) فإن عدداً كبيراً من الدول الإسلامية اليوم يستعمل الحروف اللاتينية بدلاً من حروف الخط العثماني . ثم إن اللغة العربية لم تعد لغة العلم وبالتالي لم تعد النبع الذي تستقي منه لغات العالم الإسلامي التي كانت تستقي ألفاظها من لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . ولا ننسى أن القومية أو الشعبوية قد زاحمت وقتاً من الأوقات الأخوة الإيمانية .

وكما كان حديثنا في القضايا السابقة منطلقاً من إيجابيات السلف الصالح بقصد إن نتأسى به ، فإننا في حديثنا عن : «العمل على إعادة المجد الإسلامي» نودّ أن نتحدث عن أهم مقومات هذا المجد الموجودة ، بفضل الله تعالى ، بين ظهرانينا ، سائلين الله تعالى أن يوفقنا لاستثمار هذه المقومات أحسن استثمار ، وللعمل ، من أجل عودة مجدنا الإسلامي ، على خير وجه ، إنه جلّ وعلا نعم المولى ونعم النصير .

(١) من روائع حضارتنا ٤٧ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/٢٠٩ .

القسم الثالث
العمل على إعادة
المجد الإسلامي

١- عقيدة واحدة :

حينما ننظر إلى العالم الإسلامي من أقصاه شرقاً إلى أقصاه غرباً نتبين أنه يكاد يكون عالماً موصولاً من أندونيسيا إلى أقصى المغرب العربي . ولعل قائلاً يقول إن هذا العالم تقطعه دولة كبرى في شبه القارة الهندية مثلاً وهي دولة الهند ، والجواب على ذلك أن في الهند أكبر أقلية إسلامية في الدنيا إذ يزيد عدد المسلمين في الدولة الهندية على مائة مليون مسلم ، هذا إلى أن في شبه القارة الهندية أكبر تجمع إسلامي حينما نجمع أعداد المسلمين في باكستان وبنغلاديش والهند . ومعروف أن عدد المسلمين في العالم يزيد على ألف مليون مسلم ومسلمة .

وسبق أن عرفنا أن العالم حينما ولد محمد بن عبدالله ﷺ فريقان ، أهل كتاب وغير أهل الكتاب . وإذا كان الشرك قد تسرب إلى كل من اليهودية والنصرانية فما الذي يمكن أن يقال وراء ذلك بشأن ديانات غير أهل الكتاب ، إن الشرك حُمِّتْهَا وَسَدَّهَا . وقد جاء بشأن اليهود والنصارى في القرآن الكريم قوله عزّ من قائل^(١) : ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ وجاء في سورة المائدة عن النصارى قوله تعالى^(٢) : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ وقوله تعالى^(٣) : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم .

(٢) سورة المائدة ١٧ .

(١) سورة التوبة آية ٣٠ .
(٣) سورة المائدة ٧٢ ، ٧٣ .

إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . وما من إله إلا إله واحد . وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴿ وإذا كانت اليهودية ديانة إقليمية محصورة في أتباع موسى عليه السلام من بني إسرائيل ، وكانت النصرانية ديانة إقليمية في أساسها محصورة في أتباع عيسى عليه السلام من بني إسرائيل ، وكان النصراني بعد زهاء ثلاثمائة سنة من رفع المسيح عليه السلام قد انحرفوا عن سواء السبيل حتى غدت نصرانية اليوم مغايرة لما جاء به عيسى عليه السلام فإن العقيدة الإسلامية هي الصافية وهي النقية وهي الخالصة . إن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم وحده ، وقد قال تعالى (١) : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقال تعالى (٢) : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴾ أما الكتب السماوية السابقة فقد أوكل الله تعالى مهمة حفظها إلى العلماء الذين خانوا الأمانة وحرفوا الكلم عن مواضعه وغيروا وبدلوا . وكانت النتيجة أنا لا نعرف مثلاً عن صحف إبراهيم عليه السلام وزبور داود عليه السلام إلا الاسم . أما التوراة التي أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السلام والإنجيل الذي أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السلام فقد تعرض كل منهما لتحريف شديد باعتراف كل من اليهود والنصارى ، من صرفٍ للمعنى عن وجهه ، ومن حذفٍ وإضافةٍ ، وكتمانٍ ، وترنم بالمدسوس على الكتاب السماوي ليوهم بأنه منه وما هو منه . وهكذا .

(١) سورة الحجر ٩ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٩ .

ومن البين أن نقاء عقيدة التوحيد في الإسلام إنما تحقق ويتحقق بفضل الله تعالى بسبب حفظ الله تعالى للقرآن الكريم إلى يوم الدين وبسبب تسخير الله تعالى جيشاً من العلماء لخدمة سنة المصطفى ﷺ الميئنة للقرآن الكريم، وقد قال تعالى (١): ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ وسبق لنا أن أومأنا إلى أمير المؤمنين في الحديث أبي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري . وبسبب هذه الخدمة العظيمة للسنة المطهرة الجليلة والذب عنها أمكن معرفة كل صغيرة وكبيرة عن المصطفى ﷺ على وجه الحق ومن ثم تسنى اتخاذه أسوة حسنة لنا نحن المسلمين مصداقاً لقوله عز من قائل (٢): ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ وبما أن سيرة المصطفى ﷺ هي الوحيدة من بين سائر النبيين الكاملة العملية التاريخية وبما أنا لا نكاد نعرف عن موسى عليه السلام سوى النزر اليسير من حياته عليه الصلاة والسلام (٣) ولا نكاد نعرف عن عيسى عليه السلام سوى بعض ما يتعلق بالخمسين يوماً الأخيرة من حياته عليه الصلاة والسلام (٤) فقد أمكن اتخاذ محمد بن عبدالله ﷺ أسوة حسنة لكل مسلم . ثم إن الزعم بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله أو الله : ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾ (٥) مما يبعد إمكان اتخاذه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لأتباعه عليه الصلاة والسلام .

(٢) سورة الأحزاب ٢١ .

(١) سورة النحل ٤٤ .

(٣) انظر مثلاً: الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي ٥٦ ، و٥٧ .

(٤) انظر مثلاً : النبي الخاتم ﷺ لأبي الحسن الندوي ١٣ . (٥) سورة الكهف ٥ .

ومن الواضح أن من أهم عوامل بقاء عقيدة التوحيد نقية من كل شائبة الاستمساك بتعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ كما أمر عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع ، فعلى أن نعصَّ عليهما بالنواجذ .
وإن من وسائل خدمة القرآن الكريم مسابقات حفظ القرآن الكريم المحلية والعالمية التي انطلقت بفضل الله تعالى من كوالالمبور عاصمة ماليزيا قبل مايزيد على الثلاثين عاماً ، والتي انتشرت في سائر أنحاء الدنيا ، والتي وصلت بفضل الله تعالى إلى مكة المكرمة .
فها هي ذي المسابقة العالمية الرابعة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره تعقدتها في مكة المكرمة وزارة الحج والأوقاف في المملكة العربية السعودية في شهر رجب وشعبان عام ١٤١٢ هـ يناير وفبراير عام ١٩٩٢ م والله الحمد والمنة .
وإن من أهم ما يميز هذه المسابقة الرابعة عشرة في المملكة العربية السعودية اشتراك إخوة لنا في العقيدة جاءوا لأول مرة بعد سبعين عاماً من العزلة التي فرضها الإلحاد عليهم . لقد دمّر الله تعالى الإلحاد تدميراً والله الحمد والمنة .
وإنه لطيب لنا أن نختم هذه الكلمات في العقيدة عقيدة التوحيد بسورة الإخلاص : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

٢- أمة واحدة :

أراد الله سبحانه وتعالى لنا أن نكون أمة واحدة وقد قال تعالى (١) :
﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ وقال تعالى (٢) : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ وكيف لا تكون هذه الأمة أمة واحدة وهي التي تعبد إلهاً واحداً وتؤمن بكتابٍ سماوي واحدٍ هو القرآن الكريم ، وتتبع رسولاً واحداً هو محمد بن عبد الله ﷺ وتعتنق ديناً سماوياً واحداً هو دين الإسلام الذي بعث الله سبحانه وتعالى به محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين وإمام المتقين قال تعالى (٣) :
﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾ وقال تعالى (٤) : ﴿ما كان محمداً أباً أحدهم من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شيء عليماً﴾
وقال تعالى (٥) : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ .

إن على هذه الأمة المسلمة أن تقدر نعمة الإسلام حق قدرها وأن تقوم بما يجب عليها من شكر لله تعالى على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة وذلك من ناحية بالاستمسك بتعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ كما أمر عليه الصلاة والسلام في خطبته العصماء في حجة الوداع ، ومن ناحية أخرى بالعمل على نشر هذا الدين في الخافقين والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة فقد وعد الله تعالى ، ووعدته الحق ،

(٢) سورة المؤمنون ٥٢ .
(٤) سورة الأحزاب ٤٠ .

(١) سورة الأنبياء ٩٢ .
(٣) سورة الإسراء ٩ .
(٥) سورة المائدة ٣ .

يأظهار هذا الدين على الدين كله وبجعل كلمة الذين آمنوا وعملوا الصالحات العليا . قال تعالى (١) : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وقال تعالى : (٢) ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . ولو كره المشركون ﴾ وقال تعالى (٣) : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ﴾ وقال تعالى (٤) : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

وإن لنا نحن المسلمين أسوة حسنة في المصطفى ﷺ وفي سلفنا الصالح فقد تبينا أن المجاهدين في سبيل الله تعالى بالسيف والسيان كانوا رهبان الليل وفرسان النار، وأن أخلاقهم الحميدة فتحت مغاليق القلوب وفعلت أكثر مما فعلت سيوفهم ولهذا وفقهم الله تعالى ففتحوا زهاء ثلث العالم المسكون آنذاك في زهاء ثلث قرن من الزمان، وهي سرعة لا نظير لها قبل ولا بعد، هذا مع عمق الأثر الذي ليس له نظير قبل ولا بعد . وها هي ذي الشعوب التي وصلها الإنقاذ الإسلامي تتخلى قريرة العين عن معتقداتها ولغاتها وثقافتها وحضاراتها وتعتنق

(١) سورة النحل ١٢٥ .

(٢) سورة التوبة ٣٣ ، وسورة الصف ٩ .

(٣) سورة الفتح ٢٨ .

(٤) سورة النور ٥٥ .

الإسلام وتسهم بكل إخلاص في بناء صرح حضارته الزاهي السنّاء والسنّاء .

وقد عرفنا أن دين الإسلام الذي رضيّه الله تعالى لعباده والذي لا يقبل جلّ وعلا من البشر ديناً سواه قد فتح ثلثي العالم الإسلامي بأخلاق دعائه العلماء الحلماء الربانيين . أليست أندونيسيا أكبر دولة إسلامية؟ بلى . وهل انتشر الإسلام فيها إلا بفضل الله تعالى ثم بالأخلاق الفاضلة للدعاة إلى الله تعالى . والحقيقة أنّنا نتبين في انتشار الإسلام في أندونيسيا في تلك السرعة العجيبة معنى مثل قوله تعالى^(١) : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصِرْكُم وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ فقد صرف تعالى عن الدعاة إلى الله تعالى أبصار خصومهم الذين شُغِلُوا بحطام الدنيا وتركوا الدعاة إلى الله تعالى وشأنهم . وإليك ما يقول في هذا الشأن العلامة الدكتور حسين مؤنس^(٢) : «لقد اشترك في نقل الإسلام حتى الكفار . ومن بين المستشرقين رجلٌ سنتحدث عنه نصح حكومته بترك الإسلام ، ينتشر حتى يشتغل به الناس ويتركوا التجارة والأموال للهولنديين ، وأخذت الدولة بكلامه . فكانت نصيحة هذا الكافر لدولته سبباً في الإسراع بانتشار الإسلام في أندونيسيا . وانساح الإسلام في أندونيسيا حتى عمها كلها» وقد تحدث عن هذا المستشرق في موضع آخر واسمه سنوك هورجرنيه SNOUCK HURGRONJE^(٣) يقول الدكتور حسين مؤنس^(٤) : «بل نصح الرجل الحكومة بأن تشجع انتشار الإسلام في

(١) سورة محمد ٧ .

(٢) الإسلام الفاتح ١٦ .

(٣) الإسلام الفاتح ٥١ .

(٤) الإسلام الفاتح ٥١ .

الجزر حتى يزداد المسلمون في الدين غرقاً وينعم الهولنديون بالغرق في المال . فكانت المراكب التجارية الهولندية المقبلة فارغة من أوروبا تأخذ حجاج الاندونيسيين من الشواطئ العربية والهندية بأجرٍ لا يذكر وتنزلهم في جدة وينبع . ولم يحاول الهولنديون إدخال الحروف اللاتينية في البلاد لطباعة الكتب الأندونيسية، بل عملوا على تشجيع استعمال الحروف العربية التي كانت مستعملة للكتابة في البلاد قبل دخولهم . فظلت اللغة الأندونيسية تكتب بالعربية . وإلى حين قريب كانت حي الأزهر مطابع تطبع الكتب الملاوية والجاوية والاندونيسية . وكانت القاهرة إذ ذاك مركز الطباعة العربية في العالم» وأود أن أختتم حديثي عن الدعوة إلى الله تعالى بهذا الاقتباس للعلامة أبي الحسن الندوي^(١) : «والدعوة إلى الله هي الناجية الوحيدة التي لاتزال فارغة في خارطة العالم، لا تشغلها أمة ولا دعوة . فإذا عمرها المسلمون أحسنوا إلى الإنسانية وإلى أنفسهم، وأمسكوا هذا العالم المتمدن الذي قد كاد يهوى في الهاوية» .

(١) إلى الإسلام من جديد ٢٠ .

٣- كتابة واحدة ولغة علمية واحدة :

لاحظنا بشأن الدولة الإسلامية التي كانت ممتدة من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط جنوباً أن المسافر فيها لا يكاد يحتاج إلى غير اللغة العربية التي قامت بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير في ظل تلك الظروف الصعبة للانتقال والحركة . وبعد أن انحسر مد اللغة العربية المنطوقة ابتداءً من القرن الثالث الهجري ظل العالم الإسلامي مشدوداً إلى لغة الكتاب العزيز برياطين وثيقين دليلاً على وحدة هذه الأمة . وهذان الرباطان هما الكتابة ، فقد احتضن العالم الإسلامي كله كتابة المصحف الشريف لكتابة لغاته ، واعتبار الكتاب العزيز المصدر الذي تستقي منه اللغات الإسلامية ألفاظها لتلبية الاحتياجات المختلفة ، ومن هنا توزع المعجم العربي في لغات العالم الإسلامي ، بل إن بعض لغات العالم الإسلامي استعارت بحور الشعر العربي لنظم شعرها وأساء البحور كالفارسية والتركية والأردية ، بل إن لغة كالفارسية استعارت قدراً كبيراً من النحو العربي^(١) .

وما الذي طرأ على هذين الرباطين في عالمنا المعاصر؟

بشأن الكتابة أخذت الكتاب باللاتينية تزاحم كتابة المصحف الشريف فقد حلت الكتابة باللاتينية محل كتابة المصحف الشريف لدى بعض الدول الإسلامية وبذلك قُطع ما بين حاضر تلك الأمة وماضيها

(١) القواعد الأساسية لدراسة الفارسية ز .

المجيد لأن النشء الجديد على غير علم بكتابة المصحف الشريف . وقد ثبت عدم الصدق في إعادة كتابة التراث بالحروف اللاتينية ، فعلى سبيل المثال لم تُعدّ كتابة واحدٍ في الألف من التراث الإسلامي التركي خلال خمسين سنة من التحول عن الكتابة الإسلامية^(١) .

فما العمل من أجل عودة المسلمين جميعاً إلى الكتابة الإسلامية ، كتابة المصحف الشريف؟ نشر المصحف الشريف بكل الوسائل ونشر كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه وجمعياته في كل مدينة وقرية وحي وزاوية ، ونشر مسابقات القرآن الكريم على كل المستويات المحلية والعالمية . وإن هذه مناسبة طيبة للتشويه بمسابقات القرآن الكريم العالمية ومنها مسابقة كوالالمبور ومكة المكرمة ، وبمجمعات طباعة المصحف الشريف ومنها مجمع الملك فهد حفظه الله لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة . لقد أمكن بفضل الله تعالى توزيع زهاء ستين مليون نسخة من هذا المصحف الشريف الذي بلغ بفضل الله تعالى حيث بلغ الليل والنهار^(٢) . وحينما نعلم ان عدد المسلمين في الدنيا يزيد على ألف مليون مسلم ومسلمة ندرک ان المسلمين بحاجة إلى أن تتضافر جهودهم من أجل القرآن الكريم طبعاً وتلاوة وتجويداً وتفسيراً . إن هذه مهمة أكبر من أن تطيق تحمّلها جهةٌ واحدةٌ مهما بلغت إمكاناتها فعلى المسلمين ان يتعاونوا وأن تتكاتف جهودهم من أجل إظهار الأمة المسلمة أمة واحدة حقيقة وشكلاً ، باطناً وظاهراً ، والله ولي التوفيق .

وما الذي طرأ على الظاهرة الأخرى أو الرباط الآخر الذي يشدّ المسلمين إلى لغة القرآن الكريم شداً وهو اعتبارها المصدر الذي تستقي

(١) انظر مثلاً : الزحرف على لغة القرآن ٩١ أحمد عبدالغفور عطار بيروت ١٣٨٥ هـ .

(٢) في أثناء مراجعة تجارب طباعة هذا العمل زاد عدد المصاحف التي تمّ توزيعها على الثمانين مليون نسخة . والله الحمد والمنة .

منه لغات العالم الإسلامي؟ إن اللغة العربية لم تعد لغة العلم كما كانت بالنسبة للعالم الإسلامي كله قديماً، بل إن اللغة العربية لم تعد لغة العلم في أكثر البلاد العربية ظناً من بعضهم أنّ اللغة العربية عاجزة عن أن تكون لغة العلم وهي التي قامت قديماً بهذا الدور بنجاح منقطع النظير، هذا إلى أن اللغة العربية أغنى لغات العالم عدد مفردات. فما العمل من أجل عودة المسلمين إلى ما كانوا عليه من اعتبار اللغة العربية مصدر الغناء للغات العالم الإسلامي؟ .

العمل ذو شقين . . تعريب التعليم في العالم العربي .

واتفاق المسلمين على اعتبار إحدى اللغات الإسلامية المصدر الذي تستقي منه اللغات الإسلامية مفرداتها . وليس ثمة لغة إسلامية أولى بهذا الدور وأقدر على القيام بهذا الدور من لغة القرآن الكريم ولغة الحديث النبوي الشريف . خاصة وأن العالم الإسلامي قديماً كان يقوم بهذا العمل ، كما أن العالم الإسلامي هو الذي جعل اللغة العربية لغة العلم لأنها لغة الخلود بسبب نزول القرآن الكريم فيها . وقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الكتاب العزيز إلى يوم الدين . والمعروف أن اللغة العربية قامت في بغداد بترجمة التراث العالمي إليها ، وأنها قامت في الأندلس بترجمة التراث العالمي منها إلى غيرها من اللغات . وهكذا قامت اللغة العربية بكفاءة عالية بكل الجوانب التي يتألف منها الدور العالمي للغة من اللغات . كفاءة في التعبير وفي الكتابة وفي الاستيعاب إليها والاستيعاب منها .

٤- مكان واحد :

كانت الدولة الإسلامية ممتدة دون انقطاع من الصين إلى حدود فرنسا وفي العصر الحاضر بتألف العالم الإسلامي من الدول العربية وغير العربية ولم يعد كل من العالمين الإسلامي والعربي موصولين كما كانا قديماً. إن دولة الهند مثلاً تفصل بين بنقلاديش وباكستان. أما العالم العربي فإنه يقطع لأول مرة نصفين بفعل دولة العدوان إسرائيل التي غرست في صدر العالم العربي وقطعته نصفين فلم يعد العالم العربي موصولاً برأ كما كان من ذي قبل. وليس بخافٍ أن دولة البغي إسرائيل قد قامت في قلب العالمين العربي والإسلامي على أنقاض شعب فلسطين العربي المسلم كما قامت باحتلال القدس الشريف والاستيلاء على المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى محمد بن عبدالله ﷺ الذي أسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله تعالى حوله. إن هذه النكبة التي حلت بالعالم الإسلامي تذكر بالحمالات الصليبية التي شنّها الصليبيون على العالم الإسلامي وأسّسوا في أثنائها ثلاث ممالك هي مملكة الرُّها بضم الراء وهي مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام^(١) ومملكة أنطاكية، بينها وبين حلب يوم وليلة^(٢) ومملكة القدس وتشمل فلسطين كلها، وهي الدولة الصليبية الأولى، مثل الدولة الصهيونية الموجودة الآن^(٣).

(١) معجم البلدان «الرُّها» .

(٢) معجم البلدان «أنطاكية» وأنطاكية هي الاسكندرونة حالياً .

(٣) معارك حول القدس ، الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ١٩ .

ورفع المسلمون أخيراً راية الجهاد في سبيل الله تعالى ضد الصليبيين . وأول من رفع راية الجهاد في سبيل الله تعالى السلطان عماد الدين زنكي (٤٧٨-٥٤١هـ = ١٠٨٥-١١٤٦م) (١) الذي أكرمه الله تعالى بعد عشر سنواتٍ فقط من رفع راية الجهاد في سبيل الله تعالى أن يستعيد منهم ثالث الممالك الصليبية مملكة الرُّها سنة ٥٣٩هـ (٢) وحمل راية الجهاد في سبيل الله بعده ولده الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (عماد الدين) (٥١١-٥٦٩هـ = ١١١٨-١١٧٤م) وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم . وهو أول من بنى داراً للحديث (٣) وكانت أعلى أمنيته أن يموت شهيداً في الميدان ويبعث جثمانه يوم القيامة من حواصل الطير وبطون السباع في الوديان (٤) ومات بعلبة الجوانيق في قلعة دمشق فقيل له الشهيد (٥) وحمل راية الجهاد في سبيل الله بعدهما الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر (٦) (٥٣٢-٥٨٩هـ = ١١٣٧-١١٩٣م) (٧) الذي انصرف إلى عملين جدّيين : أحدهما الإصلاح الداخلي في مصر والشام ، بحيث كان يتردد بين القطرين . والثاني دفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام . وكان أعظم انتصارٍ له على الفرنج في فلسطين والساحل الشامي يوم حطين الذي تلاه استرداد طبرية وعكّا ويافا إلى ما بعد

(١) الأعلام ٣ / ٥٠ .

(٢) الأعلام ٣ / ٥٠ ، ومعارك حول القدس ٢٣ .

(٣) الأعلام ٧ / ١٧٠ .

(٤) معارك حول القدس ٢٣ .

(٥) الأعلام ٧ / ١٧٠ .

(٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٣١ .

(٧) الأعلام ٨ / ٢٢٠ .

بيروت . ثم افتتح القدس سنة ٥٨٣ هـ^(١) ولم يدّخر لنفسه مالا ولا عقارا^(٢) وقد اجتمع تحت لواء صلاح الدين للجهاد أجناس كثيرة من المسلمين لم تجتمع قبل . والتهبت شعلة الجهاد والغيرة الإسلامية بعد مدّة طويلة واستخدم صلاح الدين للجهاد كل ما وصل إليه العالم الإسلامي من العلم والاختراع وصناعة الحرب يومئذ ، وكل ما أوتي من الذكاء والصبر والتفكير وهزم الصليبيين في حطين عام ٥٨٣ هزيمة منكرة وكسر شوكتهم وفتح القدس في نفس العام واستولى على فلسطين كلها وانحصر الصليبيون في صور فقط^(٣) .

إن سلفنا الصالح قد بين لنا طبيعة العمل الذي نقوم به في الظروف المشابهة . وبشأن بني إسرائيل جاء قوله عزّ من قائل في القرآن الكريم في سورة الأعراف^(٤) : ﴿وَإِذ تَأْذَنُ رَبُّكَ لِيُعَذِّبَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ يَسُومِهِمْ سَوْءَ الْعَذَابِ . إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

ومن فضل الله تعالى علينا نحن المسلمين موقعنا المكاني الممتاز في الدنيا هذا إلى وجود أكثر الممرات المائية العسكرية في أثنائه .

(١) الأعلام ٨ / ٢٢٠ .

(٢) الأعلام ٨ / ٢٢٠ .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٣١ .

(٤) الآية ١٦٧ .

٥- زيادة مطردة في عدد السكان :

عدد المسلمين في الدنيا يزيد على ألف مليون مسلم ومسلمة ، والله الحمد والمنة ، ومعروف أن كثرة السكان تعني كثرة الأيدي العاملة وليس الأفواه الآكلة ، فقد ثبت أن كثرة السكان من أسباب النمو الاقتصادي بسبب العمل من ناحية والاستهلاك من ناحية أخرى وقد ثبت ان المسلمين أخصب الناس جنسياً والله الحمد والمنة . ومن أهم أسباب هذه الخصوبة العفة التي يمتاز بها المسلمون امثالاً لأمر الله تعالى في مثل قوله عز من قائل (١) : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ بَنَاتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ . وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ . وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) ولبعض الغربيين مطاردة للمسلمين في هذه الخصوبة ومقارنة بينهم وبين غير المسلمين . فعلى سبيل المثال تبين أن لدى مصر أعلى نسبة مواليد بين كل شعوب العالم الإسلامي (٣) ومن أشدّ

(١) سورة النور ٣٠ - ٣١ .

(٢) درسنا هذا المعنى في كتابنا تأملات في سورة الأحزاب تحت عنوان بين الحقيقة والجمال ٥٤٩ .

(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٢ .

الملاحظات طرّفت أن المحللين الغربيين ذهبوا إلى أن عدد سكان مصر سيصل إلى تسعة وأربعين مليوناً عام ٢٠٣٧م^(١) واللطيف في الأمر أن عدد سكان مصر تجاوز هذا الرقم الذي قدره الخبراء قبل نصف قرن من الموعد المحدد!

ولاحظ الخبراء أيضاً أن الأرقام تدل على أن تركيا تضارع مصر وإن لم تصل في هذا المجال إلى درجة التساوي^(٢).

وإليك هذه المقارنات التي ينبغي أن يأخذها المسلمون مأخذ الجد وأن يشكروا لله تعالى نعمه وآلائه. إن الخصوبة البشرية لدى العرب أكبر من الخصوبة لدى اليهود بمرتين ونصف^(٣).

وفي الجزائر حيث يقطن العنصر الإسلامي بجانب الأوروبي مباشرة تظهر الدراسات أن نسبة الزيادة بينهما مختلفة اختلافاً كبيراً. إذ يفوق إنتاج الخصوبة البشرية لدى المسلمين ما يقابله لدى الأوروبيين أو لدى اليهود الذين يحملون الجنسية الفرنسية بأربع مرات تقريباً. وفي تونس حيث يمثل الإيطاليون غالبية العنصر الأوروبي - وهم أبناء أخصب الأمم الأوروبية - يزيد الإنتاج العربي مرتين ونصف عن الأوروبي^(٤).

وإلى المسلمين هذا الاستنتاج الخطير^(٥) : «ولقد دفع الصراع بين القوى الأوروبية العظمى وبين الشعوب الإسلامية - وهو صراع نتج عن

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٤ .

(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٥ .

(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٦ .

(٤) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٦ .

(٥) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٧ .

اتجاه أوروبا إلى التوسع الاستعماري - إلى ضرورة القيام بدراسات مقارنة في المجال السكاني للوقوف على اتجاه ميزان القوى - من الناحية البشرية - بين الطرفين . وتوصل الباحثون إلى نتيجة تدعو إلى التفكير والتأمل . فقد أثبتوا - بناءً على أرقام توصلوا إليها في عام ١٩٣١م - أن بين كل ١٣ , ٣ من البالغين في أوروبا يوجد شاب واحد تحت الخامسة عشرة . أما في مصر وتركيا وإيران فقد أثبت الإحصاء الذي جرى في نفس العام أن فيها شاباً تحت الخامسة عشرة بين كل ٣٨ , ١ من البالغين . وطبقاً لهذه النتيجة التي تبين اختلاف نسبة الأطفال إلى البالغين بين أوروبا والعالم الإسلامي أمكن للمرء أن يتنبأ بأن تفوق الإنتاج البشري في المنطقة الإسلامية سوف يؤثر تأثيراً بالغاً على العلاقة بين الشرق والغرب في عشرات السنين القادمة» .

وقد لاحظ الباحث أن البلاد الغربية ينقص عدد سكانها باستمرار^(١) وفي المقابل ينقص تفوق أوروبا في التكنولوجيا على الشرق عاماً بعد عام ، لأن الشعوب الإسلامية اتجهت إلى تطوير نفسها وبناء حضارتها بالوسائل الهندسية الأوروبية^(٢) إن في أوروبا وأمريكا الأطفال يقلون والعجائز يكثرون^(٣) وفي فرنسا وبلجيكا والنمسا يقل عدد السكان^(٤) وأما عدد السكان في إنجلترا فهو أيضاً يكاد يكون ثابتاً^(٥) والعجيب كل العجب أن السويد هو البلد الذي قد أبرم الاتفاقية مع حكومة باكستان لمساعدتها على التقليل من عدد سكان باكستان وهو

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٩ .

(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٩ .

(٣) انظر: حركة تحديد النسل ، لأبي الأعلى المودودي ٢٢ .

(٤) حركة تحديد النسل ٤٦ .

(٥) حركة تحديد النسل ٤٦ .

الذي يعاني من نقص السكان^(١) وفي ذات الوقت الذي يحذر بعضهم من خطر الجذب وقلّة القمح تحرق الأرجنتين وأمريكا كميات وافرة من قمحها^(٢) وينبغي على عباد الله تعالى ألا ينسوا أن ٧٠٪ على الأقل من مجموع مساحة الكرة الأرضية غير مزروع، وأنّ المزروع ١٠٪ فقط هذا إلى أنّ الزراعة الكثيفة منها زهيدة جداً^(٣) وقد قال تعالى^(٤): ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلّ في كتابٍ مبين﴾ . وينبغي التنبيه إلى أن حركة تحديد النسل إنما يراد بها المسلمون، وينبغي التنبيه إلى أن المسلمين الذين طبقوا حركة تحديد النسل في بعض البلاد قد غدوا أقلية بالقياس إلى غير المسلمين الذين لا يطبقون عملية تحديد النسل . وينبغي ألا ننسى أن دولة كالفلين كانت مسلمة مائة بالمائة وقد انخفض فيها عدد المسلمين اليوم إلى زهاء ٥٪ بل ويрад القضاء على هذه البقية الباقية فعلى المسلمين أن يمثّلوا أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ قال تعالى^(٥): ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم . إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله . والله واسعٌ عليم﴾ وقد جاء في السنن من غير وجهٍ أن رسول الله ﷺ قال : «تزوجوا الولود تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة»^(٦) .

وعلينا نحن المسلمين أن نُعنى بالشباب عناية بالغة لأنهم إذا كانوا

-
- (١) انظر: حركة تحديد النسل ٦٣ .
(٢) حركة تحديد النسل ١١٠ .
(٣) حركة تحديد النسل ١١٤ .
(٤) سورة هود ٦ .
(٥) سورة النور ٢٢ .
(٦) تفسير ابن كثير ٣/٢٨٦ .

نصف الحاضر فإنهم كل المستقبل ، وعلينا أن نساعدهم على العفاف والصالح . جاء في الصحيحين عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال :
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (١) .

وإن من أكبر الأدلة على عناية المصطفى ﷺ بالشباب أنه عليه الصلاة والسلام قبيل وفاته جهز جيشاً إلى الشام تحت قيادة أسامة بن زيد وهو شاب في سن العشرين وتحت لوائه شيوخ المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي (٢) .

وها هو ذا صلاح الدين الأيوبي يعني بالشباب عناية بالغة من جميع النواحي العلمية والصحية والغذائية والسكنية إلخ امتداداً لعنايته بالأمة كلها حتى إن ابن جبير الأندلسي يقول في رحلته إعجاباً بصلاح الدين وإكباراً له (٣) : «فسبحان الذي جعله صلاح دينه كاسمه» .

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٨٦ .

(٢) السيرة النبوية دروس وعبر ١٨٥ .

(٣) رحلة ابن جبير ٢٣ ، وانظر : خطوات نحو القدس ٨٥ .